تكوين المترجم بين مطرقة المصطلحية وسندان الترجمة.

المؤلف: **أ/د فرقاني جازية**
ج. وهران1 أحمد بن بلة

الملخص: تروم هذه الورقة إلى وضع الأطر التي تحيط بتكوين المترجم منطلقة من البرامج التكوينية في المعاهد والجامعات، وصولا إلى الميادين التي يشتغل بها والمجالات التي يدمج فيها باعتبار الترجمة حقلا تتداخل فيه الأنظمة اللّغوية والثقافية، فتتجاوز بذلك المعادلات التقليدية للبحث عن مهنة تتعدى العمل المعجمي والمصطلحي لترسم معالم مهنة تتربع على عرش تكوين كفء وتتفرّع لتغطّي حاجيات سوق العمل بمردودية قوامها نوعية وجودة وبصمتها الإبداع في لغة الآخر وضمان التلقي والرواج في بيئته.

الكلمات الدّالة:المترجم، التكوين، الترجمة، المصطلحية

Résumé : La formation du traducteur entre l'enclume de la terminologie et le Marteau de la traduction

Cet article vise à retracer les cadres qui entourent la formation du traducteur à partir des programmes de formation dans les instituts et les universités ainsi que les domaines dans lesquels il travaille et qu'il s'intègre. Les systèmes linguistiques et culturels se chevauchent dans le domaine de la traduction, dépassant les équations traditionnelles, pour viser une profession qui va au-delà du travail lexical et terminologique. Une profession efficace et capable de couvrir les besoins du marché du travail en garantissant un rendement de qualité et la créativité dans la langue de l'Autre pour assurer la réception et la promotion dans son environnement.

Mots clés :
traducteur, formation, traduction, terminologie

Abstract :

The training of the translator between the anvil of the terminology and the Hammer of the translation

This paper aims to develop the frameworks that surround the training of the translator from the training programs in the institutes and universities,as well as the fields in which he works and in which he integrates. Linguistic and cultural systems overlap in the field of Translation, exceeding the traditional equations, to search for a profession that goes beyond lexical and terminological work.An efficient profession able to cover the needs of the labour market guaranteeing quality performance and enhancing creativity in the language of the Other to ensure the reception and promotion in his environment.

Key words :
translator, training, translation, terminology

منذ أن خُلقنا شعوبا وقبائل، كانت الترجمة وسيلة للتعارف والتثاقف وأداة للكشف عن الاختلاف وتوظيفه ورعايته ففي قلب الاختلاف تسكن الهوية وترتسم معالمها وفي الهجرة يقطن الاستقرار وتقهر المسافة ليصبح وقع النص المترجم على المتلقي هو نفسه الأثر الذي يحدثه على متلقي النص الأصلي.

والترجمة ليست مسألة لغة فحسب؛ وإنّما هي مسألة ثقافة ومعرفة وتداخل مجالات كثيرة تسهم كلّها في نفخ الحياة في النصوص ونقلها إلى الآخر، ومن هنا فإنّ "مهمّة المترجم هي أن يسمح للنّص بأن يبقى ويدوم وفي هذا البقاء الذي لا يستحقّ هذا الاسم إن لم يكن تحوّلا وتجدّدا"[1]

لقد كانت وظلّت الترجمة اليوم تدرس على أعلى مستوى في جل أنحاء العالم، وهذا التكوين ليس بهدف تخريج مترجم جيّد؛ وإنّما بغاية الحصول على مترجم قادر على المنافسة في سوق العمل المحلية والدولية، ولن يتأتّى له هذا إلاّ بالتكوين والمِرانِ والممارسة؛ تكوينٌ دعامته الأساسية إدراك واقع المصطلح العربي الذي يتجه إلى خارج اللّغة العربية في الترجمة أكثر ممّا يتّجه إلى التوليد من الدّاخل.

لقد أدّى كلّ من التطوّر العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات إلى ظهور عدد هائل من المصطلحات الجديدة في فروع المعرفة المختلفة، ونتج عن ذلك بالضرورة ظهور لغات التخصص للدّلالة على هذه المصطلحات الجديدة. وإذا كانت الكتابة العلمية عصبها المصطلح وقوامها مفهومه، فهي بمثابة المفاتيح و المختصرات يستخدمها الدارسون لتوفير الجهد في تقديم العلوم التي يتناولونها بالبحث والدراسة.

هذا ويمكن تحديد محاور الدرس المصطلحي في تكوين المترجم على النحو الآتي :

_تجديد خصائص التعريف المصطلحي؛

_جرد المصطلحات وتصنيفها؛

_التقييس المصطلحي؛

_التوثيق وقواعد الجذاذة المصطلحية؛

فلكي يتمّ ضبط المصطلحات اللغوية، لابدّ من تحديد منظومة المفاهيم العلمية التي تمثّلها تلك المصطلحات. وللاضطلاع بهذه المهمّة، يقوم المصطلحيّ ب: "تقطيع الواقع أي تقسيم الأشياء والظواهر في الوجود و تصنيفها وهو تقسيم يتباين من حضارة إلى أخرى"[2] ومعرفة كلّ مفهوم يعمل على ضبط موقعه في المنظومة المفهومية ويحدّد العلاقة التي تربطه بالمفاهيم المجاورة التي تشترك معه في بعض الخصائص."فالخطابات والنّصوص التي استعملت فيها المصطلحات والمسمّاة عموما بالخطابات العلمية والتقنية، هي عروض لمعارف وتصوّر لمداولات طوّرت قصد تواصل خاص والخطاب كمسار تواصلي هو العماد الذي ينقل ويحوّل إلى المستقبلين المستهدفين المعلومات مع أهداف محدّدة في سياق معين "[3]

تتّفق نظريات الترجمة على أنّ الاتصال اللغوي بواسطة الترجمة لا تقتصر عناصره على المرسل والمرسل إليه والرسالة فحسب؛ وإنّما للسياق ومكوّناته دور في الرسالة وتوجيها أو إعاقة وصولها إلى متلقٍّ في لغة أخرى وبيئة مغايرة، وعلى هذا الأساس فتكوين المترجم ضروري في هذا المجال، فهو مطالب بالإحاطة بالوسط الثقافي والاجتماعي للغة الناقلة والمنقول إليها كي يتمكّن من سدّ الثغرات التي تعيقُ عملية التواصل، فعلى المترجم أن يكون قادرا على أداء دورين؛ متلقّ للرسالة ومرسل لها في لغة ثانية وعملية التلقي هذه تمر بثلاثة مستويات :

1-الإدراك (من خلال المرجعية الثقافية والمعرفية).

2-التفكيك.

3-إعادة البناء بعد فهم المضمون.

وتأسيسًا على هذه المستويات؛ فإنّ البحث عن المعنى في مجال الترجمة يقوم على تحليل العلاقة بين الكلمة والشيء في طور التكوين و تدريب الطالب المترجم /المتعلم على التمييز بين معاني الكلمات المحصورة في المعاجم ومعنى الكلمات في سياقات متباينة أولا؛ ثمّ معنى النص في شموليته وليس في استقلال مفرداته ومكوناته " وللوصول إلى المفهوم في شموليته أو الاقتراب من هذه الشمولية يتوجّب النظر إلى تحقق سماته الواردة على طول الخطاب والمعنى المعبّر عنه يمكن أن يُرى كظاهرة متشاركة موزعة بين الجمل وربّما بين الخطابات"[4]

وعلاوة على هذا؛ فإنّ للتوسّع الدلالي والاستعمال المجازي وغيرها من الظواهر اللّغوية دور في تعدّد معنى اللّفظ الواحد، ويزداد الأمر إشكالا في تعدّد دلالات المصطلح الواحد الذي يُعَدُّ أخطرَ من تعدّد دلالات اللّفظ، فهذا الاختلاف يفقد العلماء والمترجمين القدرة على التواصل ويُردي نقاشهم عقيما فسمة المصطلح "أن ينظّم المعرفة في شكل تصنيف مفاهيمي لكل فرع من فروع المعرفة "[5] وأن يتمكّن من التواصل المتخصص بأكبر قدر من الفعالية، فلكلّ مصطلح خلفيات معرفية حري بالدارس والباحث المترجم العودة إليها للكشف عن كنه أبعاده الدلالية وللتمكّن ممّا يسهم في فكّ حمولته المعرفية والفكرية ومراودته ليكشف النقاب عن الانفتاح الذي يتجاوز الدلالة الحرفية للمصطلح.

والملاحظ أنّ المصطلح يعاني من معوق آخر يتمثّل في عدم اجتهاد الباحث العربي في تأصيل المصطلح الآتي من بيئة الآخر"ممّا يعطي الانطباع على حدّ قول بن معمر بوخضرة بانفراد المصطلح وجدّته؛ بل و فقدان أصوله في المورث العربي"[6]

وقد أدّى هذا الاضطراب وعدم الاستقرار في المصطلح إلى ظهور فئة من النقاد تدعو إلى إيقاف قطار النقد؛ لأنّ الفوضى من أمامه والفوضى من ورائه [7] فترجمة المصطلح لا تعني عزله عن

خلفيته الفكرية والفلسفية وإفراغه من دلالته، وبالتالي عجزه عن تحديد المعنى. فليس من السهل اقتلاع المصطلح من جذوره لما ينطوي عليه من عمق تاريخي وفكري يستدعي التريث والبحث عن المصطلح المقابل من ثقافته وفي أطره المرجعية التي صيغ فيها.

يسعى كلّ من المترجم والمصطلحيّ إلى نقل المعنى، فالهدف المتوخّى من عملهما واحد، وقد يبدو للوهلة الأولى أنهّما يؤدّيان الوظيفة نفسها، وبالتالي يحتاجان إلى ذات التكوين ويتطلّبان عين الإعداد والوسائل؛ لكنّ الحقيقة غير ذلك، فالمصطلح يُعنى بالتوليد والتوحيد، وهو بذلك يشتغل في إطار اللّغة الواحدة؛ في حين إنّ المترجم يتعامل دائما مع النص الذي يريد نقله من لغة أخرى.

وإذا كان كلّ من المصطلحيّ والمترجم يُعني بالمعنى و يعمل كلّ واحد منهما جاهدا على استيعابه ثم نقله؛ فإنّ كلّ واحد منهما يبحث عن معنى مختلف، فالمصطلحي يبحث عن معنى الشيء أو المفهوم؛ في حين إنّ المترجم يبحث عن معنى التسمية التي يُسمى بها الشيء أو المفهوم "وهكذا فالمصطلحي مضطرّ إلى التعرف على ماهية الشيء وتحديد عناصره الرئيسة ....ليتمكّن من إلحاقه بمنظومة المفاهيم التي ينتمي إليها؛ أمّا المترجم فلا تعنيه تلك الأبحاث المنطقية والوجودية بقدر ما يعنيه معرفة معنى الكلمة في السياق الذي استعملت فيه، ومن ثمّ معرفة المعنى الكلّي للعبارة والفقرة اللتين يقوم بترجمتهما"[8]

من الناحية النظرية، ليس من مهامّ المترجم أن يولّد مصطلحات؛ بل أن يوظّفها في المادّة التي يترجمها ويعمل جاهدا على استخدام مصطلحات يستقيها من المعاجم المتخصصة ويحرص على توحيدها؛ لكنّ الملاحظ أنّ "عدم الاتفاق على مدلول محدّد للمصطلح يقود إلى خلل في الدراسات وتفاوت في البحث وعدم تواصل بين العلماء فيما يقدّمونه من أبحاث تتّصل بالموضوع الذي لا يستقرّ مفهومه"[9] وهذا الوضع يدعو إلى التريث في البحث عن مقابلات عربية لمصطلح لم يستقر في لغته الأم، وإن كان الأمر يمثّل حجر عثرة في سبيل توفير المصطلحات ومواكبة تقدّم العلوم؛ لأنّ المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه الذي ينتمي إليه ولا يتحدّد إلاّ داخل النظام الذي يُكوّن ذلك التخصص، ف"طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حيّة لتطوّر العلوم، وهي تدلّ على ما في تاريخ العلم من صواب أو خطأ وهي جزء لا يتجزّأ من أساليب التفكير العلمية"[10]

ويُرجع الديداوي أسباب عدم استقرار المصطلح إلى آفة الترادف تلك الظاهرة التي تنتج عن ما يلي :

1- وضع مصطلحات دون التأكّد ممّا هو موجود.

2- تعدّد الجهات الواضعة للمصطلح.

3-الاستعجال في وضع مصطلحات الميادين المتجدّدة باستمرار.[11]

و يقف (أولمان) (Ullmann) على الترادف و يحدّد تسعة أنواع للترادف [12] تخلق نوعا من التشويش و الضبابية في فهم المعنى فهما دقيقا "فلا يدلّ هذا الازدحام على السعة و الثراء؛ بل هو يدلّ إن كان لابدّ من دليل، على ما يسود طرق العمل من فوضى وعلى عيب أساسي هو فقدان الأسلوب المنطقي والخلو من النظرات الفلسفية العامّة في ميدان الترجمة الى العربية[13]؛ في حين إنّ الديداوي يرى أنّ وجود المترادفات ليس شرّا كلّه فالاحتكاك والتنافس بين المقبلات المصطلحية المختلفة قد يؤدّي إلى تثبيت المصطلح الأفضل بين عدد من المصطلحات ولن يتأتّى هذا إلاّ بالتنسيق والإحصاء والاشتغال بمبدأ التكامل بين مختلف الأقطار العربية، بعيدا عن السبق.

يسهم الاستدلال المعجمي في الوقوف على الاختلاف وضبط الاستعمال وهو يصبو إلى "المواءمة إلى أقصى حدّ مستطاع بين المفردات والمصطلحات في اللّغتين والاستناد إلى المعاجم الأحادية والثنائية فما أكثر، بحثا عن دلالتها والانتقال في الاتجاهين بين اللّغتين للتأكّد والمقارنة والموازنة إلى أن يستقرّ الرأي على الأصلح والأنسب منها للمقام " [14] ولهذا نجد ما يُعرف بالمعادل القريب والمعادل الثانوي والمعادل المحتمل والمعادل السياقي، وفي مرحلة التكوين، لابدّ أن يدرك الطالب هذه المعادلات ليقف على أهمّية السياق في هذا التصنيف وليعرف الكيفية التي تمّت بها عملية توزيع الألفاظ اللغوية على أنظمة المفاهيم العلمية والتقنية وعلى المبادئ التي تحكم وضع المصطلحات وتوحيدها ليتسنى للمترجم مواجهة هذا الفيض المستمرّ للمصطلحات الوافدة في مجالات معرفية مختلفة.

إضافة إلى ذلك، لابدّ من إدراك الطالب المترجم قضية تنميط المصطلحات، والمراد بالتنميط "وضع مقاييس لاختيار المصطلحات مع تصنيف تلك المقاييس وضبط ميادين تطبيقها بهدف تحقيق تواصل أفضل بين مستعمليها، والمتخاطبين بها، فالهدف من التنميط إذن تجنب الاعتباطية"[15]

وعلى هذا الأساس يختلف مفهوم التنميط في معناه عما يقصد به توحيد طرق وضع المصطلح وآلياته، من اشتقاق ونحت و تعريب.

وفي معرض حديثنا عن التعريب؛ فإنّ مشكلة المصطلح العلمي باللّغة العربية لم تكن عائقا يحول دون التعريب؛ لكنّ المشكل الأساس في عزوف الجامعات عن اصطناع العربية لغة علم و تعليم "فإذا تلقّى الطالب تعليمه العالي مصبوغا بألفاظ لغته وقوالبها؛ فإنّه يسهل عليه استيعابه و إضافته إلى مخزونه المعرفي في منظومة مفهومية متكاملة"[16]تسهم في عملية تنقله بين منظومة لغوية فكرية وأخرى أثناء الترجمة، التي تعطي فرصة للطالب كي يراجع "المصطلح المقر من المجامع اللغوية و اقتراح تغييره إن لم يعد مناسبا أو تجديده و توليد ما يتفرّع عنه استنادا إلى التطوّر العلمي."[17]

إنّ منطلق تأسيس العلوم وتوطينها وإيصالها إلى عامّة الناس قائم على ترجمة المصطلح الأجنبي، وبالتالي تداول العلوم ومواكبة الركب اعتمادا على وضع أسس ملائمة لروح اللّغة العربية كي تناسب أبنيتها، لتسدّ الفجوة بينها و بين لغة العلوم.

وتأسيسا على ما سبق؛ فإنّ استغلال الموارد التكنولوجية لعصرنة تكوين المترجم أمر لا نقاش فيه، وبخاصّة في عصر العولمة واقتصاد السّوق حيث يقتضي الوضع أن يرتبط التكوين بالتمهين وتوضع كلّ التطورات التكنولوجية في خدمة المترجم ربحا للوقت والجهد، ومحاولة لسدّ الفجوة بين النظري والتطبيق أو بين التكوين والممارسة "فنظرية الترجمة تسمح للمترجم بأن يعرف جيّدا ما يفعل، وما يجب أن يفعل و عكس ذلك؛ فإنّ أسئلة المترجم تضطر المنظّر إلى إعادة التفكير باستمرار في عمله حول هذه المهنة. إنّ المهم بالنسبة لهذا و ذاك هو عدم الاكتفاء بالعيش على ما هو مقرّر"[18] ذلك على حسب فرانسوا جاكوب كلّ نظرية علمية محكوم عليها إن عاجلا أم آجلا بأن تعوّض بواسطة أخرى من شأنها تفسير جوانب أخرى من الظواهر. إنّ النظريات تتناسخ في حين يظل الموضوع نفسه.

وعطفا على ماسبق، هناك حاجة متزايدة وملحة إلى زيادة نشاط الترجمة والتأسيس لها بوصفها صنعة لها دورها في تطوير المجتمعات والرقي بها، فهي قناة نابضة تربط بين الأنا والآخر، وتكشف الاختلاف وتوظّفه لبناء ثقافة الأنا وتطويرها لتواكب ركب التقدّم و التمدّن، فأكثر الشعوب التي تحيا في رخاء اقتصادي هي تلك التي تترجم أكثر من غيرها، ولن يتأتّى لها هذا إلاّ إذا سار التكوين في اطراد مع متطلبات سوق العمل، تكوين قوامه تطوير الكفاءات و تنميتها، ونزوع إلى الجودة في المنتوج إذا ما وُضع على محكّ التقييم و التقويم .

وصفوة القول إنّ توجيه العناية في الجامعات إلى درس علم المصطلح في تكوين الطلبة وأهمية هذه القاعدة والأرضية الأساسية للمتعلم في حقل الترجمة، وذلك بالوقوف على التراث وما قدّمه من مصطلحات لفروع معرفية كثيرة جدّا ظلت اللّغة العربية تشتكي فيها من انعدام المقابلات، ودراسة علوم المصطلح والمصطلحية واستعراض تجارب الآخر في هذا المجال للاستفادة من تطبيقاتها على اللّغة العربية والترجمة أيضا، والتخفيف من التشظي المصطلحي وتعدّد أبنيته وصوره من مستعمل إلى آخر "فالذين يأخذون من الثقافة الفرنسية يلتزمون منهجا معينا يختلف عن منهج أولئك الذين يأخذون من الثقافة الإنجليزية "[19] إضافة إلى تباين مواقف العاملين في هذا الحقل في الوسيلة الأنسب لنقل المصطلحات بين إحياء التراث و إحياء المصطلحات قديمة أو خلق مصطلحات جديدة باستخدام آلية من آليات وضع المصطلحات.

وإذا كانت الترجمة مجازا الوجود باستمرار، ورسما لمعالم حركيته، وإذا كانت أيضا حركة في فضاء الفكر والتفكير؛ فإنّ تكوين المترجم لابدّ أن يصبّ في هذه الدائرة المضيافة التي تمنحه موقعا نديا

بالعلاقة مع النص الأجنبي."فإذا كانت سمة النصّ الأصل أحاديته الشحيحة؛ فإنّ المترجم كريم ومضياف يتقاسم ثقافته ولغته وجسده مع الأجنبي باعتباره ضيفا ممكنا ودائما على رحابة لغته وثقافته"[20] فيمدّ بذلك جسورا حضارية عابرة للحدود تتنفس من خلالها الآداب لتتلاقح، وإن كانت بعض المؤسّسات تَهمش بعض الترجمات خدمة لمآرب معينة.

الهوامش:

[1] عبد السلام بنعبد العالي، **في الترجمة** ،دار توبقال للنشر ، المغرب، ط2006،1، ص22

[2] حفار عز الدين، العلاقة بين علم المصطلح واللسانيات التقابلية والترجمة ، مجلة التعريب ع43، ديسمبر2012،ص127

[3]مانويل سيليو كونسيساو ، المفاهيم، و المصطلحات و إعادة الصياغة ،ت: محمد أمطوش ،عالم الكتب الحديث، الأردن ،2021 ،ص\8

[4]المرجع السابق ،ص 9

[5]محمد الديداوي، **الترجمة و النواصل، دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح و دور** المترجم، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2000،1، ص48

[6]بن نعمر بوخضرة، إشكالية المصطلح في الترجمة، مجلة مقاليد ،العدد 1 ،جوان 2011، ص29

[7]ينظر: يوسف أوغليسي ،**إشكالية المصطلح**، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت، ط1، 2008 ص55

[8]عبد العلي الودغيري، **قضايا المصطلح اللغوي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص288

[9] مصطفى طاهر الحيادرة، **من ثضايا المصطلح اللغوي**، الكتاب الثاني ،نظرة في توحيد المصطلح و استخدام التقنيات الحديثة لتطويره، عالم الكتب الحديث، الأردن،2003 ، ص47

[10]محمود فهمي حجازي، **الأسس اللغوية لعلم المصطلح**، مكتبة غريب، القاهرة، دت، ص13

[11]محمد الديداوي، **منهاج المترجم بين الكتابة والإصطلاح والهواية والاحتراف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2005،1، ص122

[12] Ullmann ;Stephen ;*Meaning and style* Oxford 1973 pp57 58

[13] سويسي محمد، **لغة الرياضيات في العربية**، دار القلم، تونس، 1989، ص11

[14]محمد الديداوي، **منهاج المترجم**، ص 123

[15] محمد رشاد الحمزاوي، **المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها**، دار الغرب، بيروت، 1978، ص60

[16] علي القاسمي، **علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2008، ص122

[17] مهدي صالح سلطان الشمري، **في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب**، جامعة بغداد،العراق،2012، ص 102

[18]جون كلود جيمار، هل الترجمة ممدنة، وظائف الترجمة و درجة التمدن، تـ:د/لحسن الكيري، مجلة ميتا المجلد35، ع1، مارس 1990، ص247

[19] مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي، الكتاب الثاني، ص55 مثال على ذلك ترجمة كتاب دي سوسير

[20] محمد حيدر، **في ممارسة الترجمة**، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/2013، ص75.